

على أنها وقائع نصية مرجعها لغة مبنية تعطيها معانيها الخاصة داخل النص وليس خارجه، ويجعلها جزءاً من إمكان كتابي لا يتناهي. فالشمس والقمر، والكواكب، والنجوم ليست أشياء فلكية في السماء، ولكنها الدفء، والأنيس، والرفيق. والاقتصاد ليس علم سياسة المال والتجارة، ولكنه الغنى والفقير، والسعادة والشقاء. والفلسفة ليست أرسطو ولا هيغل، ولكنها نظرة الفلاح وعبارة بائع الخضراوات المتجول. وعلم الاجتماع ليس قوانين نشوء المجتمع وتطوره، ولكنه جملة الأحاسيس والمشاعر. والسياسة ليست علم أصول الحكم، ولكنها الدهاء، والمكر، وعدم البراءة. وكذلك العلم بصورة عامة، فقد تحدث بارت عن علاقته بالأدب، فقال: «ثمة سمة توحد بين العلم والأدب، ولكن هذه السمة تميز بينهما أيضاً بشكل أكثر تأكيداً من أي فارق آخر: العلم والأدب، كلاهما خطاب (وهذا ما تعبر عنه فكرة العقل القديم)، ولكن اللغة إذ تكون الواحد والآخر، العلم والأدب، فإنها لا تنهض بهما، أو إذا كنا نفضل، فإنها لا تفصح عنهما بالطريقة نفسها»⁽⁷⁾.

إن اعتماد النص على استراتيجيات اللغة ونظمها في تحويل ما يتضمن إلى كائنات كلامية، وقراءة القارئ (الشاهد) للنظم الأخرى على أنها وقائع نصية مرجعها لغة مبنية، ليعطي لما يتضمنه النص مرجعيته الخاصة التي يدل بها على نفسه لا على غيره. إذ «الكلام - كما يقول القاضي عبد الجبار - دليل على ما يتضمن»⁽⁸⁾، وليس دليلاً يأخذ مصداقيته من مرجعية تقع خارجه.

إن الوقوف على هذا الأمر يعني تحرر المكتوب من كل سلطة خارجة عنه، تريد أن تمارس الإملاء فيه، بما في ذلك سلطة الكاتب، وسلطة السلطة، وسلطة الإيديولوجيا، وسلطة العلم. كما